٢- بها كثير من الفخر المبالغ فيه .

٣- الفحش والإقذاع والسباب والشتائم والهجاء اللاذع وذكر المقابح والسوءات وقذف المحصنات وذكر العورات .

٤- التعرض للأعراض مما أدى إلى إثارة الحفيظة أحيانا .

٥- أدت في بعض الأحيان إلي العنف وسفك الدماء .

شعر الغزل في العصر الأموي

شغلت المرأة عقل الرجل وخياله ، وبدلت حاله ، وبلبلت باله منذ أقدم العصور ، لقد استطاعت أن تفتن ألباب الرجال وتأسر قلوبهم ، وتوحي إلى نفوسهم الحب وتغمرهم بالأمل والاستبشار حينا ، وبالحيرة والقلق

حينا آخر ، فانطلق يصور أحاسيسه ومشاعره تجاهها، وما شعر الغزل إلا صورة عكسها لنا ذلك التفكير، وأفرغها لنا خيال الشعراء .

والغزل في الشعر العربي قديم ، ولقد كان في العصر الجاهلي موزعا بين الذكريات والبكاء علي الديار والتشبب بالأطلال التي هجرها الأحباب، وبين الحديث عن المحبوبة التي ظعنت من هذه الديار ، كما كان موزعا بين وصف المرأة وصفا عفيفا ، وبين تصويرها تصويرا جسديا مجردا من كل عاطفة سامية .

وقد استمر هذان التياران في العصر الأموي : تيار الغزل العفيف وتيار الغزل الصريح .

ومعروف أن الغزل العفيف هو الذي يذكر فيه الشاعر حبه وتعلقه بمحبوبة واحدة ، يقف عندها ، ويرى فيها المثل الأعلي الذي يحقق له متعة روحية ورضا نفسيا و استقرارا عاطفيا ، فهي الأمل المرجو والهدف المنشود والغاية المقصودة، إنها الفتاة التي يقضي عمره ناسكا في محراب عشقها لا يشرك في حبها سواها ، يرتل تسابيح الولاء من أجلها ، يوقد لها الشموع : شموع أيامه ويحرق عند قدميها البخور : بخور عمره ، إنها الكأس التي يعيش عمره ظامئا إليها فهي القطرة التي تبل أوامه وتنقع غلته الصادية ، والري الذي لا يجده في كأس سواها لقد تحولت المرأة في هذا النوع من الغزل إلى كائن مثالي ملائكي متدثر بهالة من الروحانية والقدسية تلك الهالة التي تحول دون مسه أو لمسه .

وقد عرف هذا النوع من الغزل في عصر بني أمية باسم آخر هو الغزل العذري نسبة إلى قبيلة بني عذرة القضاعية التي كانت تنزل شمالي الحجاز في وادي القرى ، وقد اشتهرت بكثرة عشاقها المولهين المدلهين الصادقين المخلصين في حبهم حتى لو أدى ذلك الحب إلى الجنون أو أفضى إلى الموت ويتضح ذلك في إجابة أحدهم حينما سئل ممن أنت ؟ فقال : من قوم إذا عشقوا ماتوا .

وروي أن عروة بن حزام حينما سئل : أصحيح ما يروى عنكم من أنكم أرق الناس قلوبا ؟ أجاب بقوله : نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا قد خامرهم الموت وما لهم داء إلا الحب .

ويدور هذا الغزل حول أفكار كثيرة أهمها الإخلاص لمحبوبة واحدة والوفاء لها فالشاعر العاشق ، المحب الوامق لا يحول أو يزول ولا يريم عن محبوبته مهما حاول أحد أن يثنيه عنها أو ينسيه حبها ، ولذلك نرى عروة بن حزام يقول :

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما أعقبتها فى الرياح جنوب
وإنى لتعرونى لذكراك هــزة لها بين جلدى والعظام دبيب[1]

ويقول قيس بن ذريح :

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها وقالة واش أو وعيد أمـــــير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكــا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى[2]

ويقول :

يقــرُّ بعيني قربها ويزيــدنــي بها كلفا من كان عنــدي يعيبها
وكم قائــل قد قال:تب، فعصيته وتلك لعمــري توبــة لا أتوبها[3]

وهذا جميل بثينة يعبر عن ذلك الإخلاص بقوله وقد تعرضت له بعض العارضات ليثنينه عن حبها :

أبثين إنك قــد ملكت فأسجحــي وخذي بحظك من كريم واصــل

---

(١) الأغانى/ جـ٢٠/ صـ١٥٥ .

(٢) قيس ولبني: شعر دراسة/ د. حسين نصار/ صـــ٩٦، ٩٧/ ط دار مصر للطباعة سنة ١٩٧٩م .

(٣) قيس ولبني / د. حسين نصار / صـــ ٦٣ .

فلرب عارضـــة علينـــا وصلها بالجـــد تخلطـــه بقـــول الهازل

فأجبتـــها بالقـــول بعـــد تستـــر حبي بثينـــة عن وصالك شاغلي

لو كان فـــي قلبي كقـــدر قلامة فضلا وصلتك أو أثنتك رسائلي[1]

ومن هذه الأفكار الحديث عما يعانيه الشاعر المحب من لواعج العشق والهوى وتباريح الصبابة والجوى وحرق الحب في باطن الحشا وذلك كما نرى في قول قيس بن ذريح :

إلي الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومـــن كـــرب تعتادني ورفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا وليل طويل الحزن غير قصير[2]

وكما نرى في قول جميل :

إذا قلت ما بي يا بثنـــية قاتـــلي من الحب قالت: ثابت ويزيـــد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت: ذاك منك بعيد
فلا أنـــا مـــردود بما جئت طالبا ولا حبـــها فيما يبيـــد يبـــيد[3]

وقول مجنون ليلي :

فإن لهيب النار بين جوانحي إذا ذكرت ليلي أحر من الجمر[4]
الجمر[4]

وكما نرى أيضا في قول قيس بن الملوح :

أبيت صريع الحب باك من الهوى ودمعي علي خدي يفيض ويسجـــم

ألا إن دمـــــع الصب عمـــا يجنه وإن لـــم يـــفه يـــوما بـــه متـــكلم

---

(١) ديوان جميل بثنية/ تحقيق د. حسين نصار/ صـــ١٧٩/ ط دار مصر للطباعة/ سنة١٩٧٩، وانظر شـــرح ديوان جميل بثنية/ شرح مهدي محمد ناصر الدين/ صـــ٧٠، دار الكتب العلمية– بيروت ١٩٨٧، وانظـــر من شرح ديوان جميل بثنية/ شرح إبراهيم جزيني/ صـــ٨٦/ ط المكتبة الثقافية – بيروت بدون تاريخ .

(٢) قيس ولبني / صـــ ٩٧ .

(٣) ديوان جميل / صـــ ٦٣ .

(٤) ديوان مجنون ليلي / صـــــ١١٨.

لساني عيى في الهوى وهو ناطق ودمعي فصيح في الهوي وهوأعجم

وكيف يطيق الصب كتمان سره وهل يكتم الوجد امرؤ وهو مغرم[1] مغرم[1]

وكما يتجلى أيضا في قول كثير عزة :

إلي الله أشكو لا إلي الناس حبها ولابد من شكوى حبيب يودع

ألا تتقين الله في حب عاشق له كبد حرى عليك تصدع

وما للهوى والحب بعدك لذة وممات الهوى والحب بعدك أجمع[2] أجمع[2]

ومن الأفكار التي يدور حولها هذا الغزل الحديث عن البعد والحرمان و التشبث بالمنى والآمال، وأمنية القرب والوصال، وتعليل النفس بأن حسبها أشياء تجمع بين الأحبة رغم ذلك البعد كما يقول قيس بن ذريح :

إن تك لبني قد أتي دون قربها حجاب منيع ما إليه سبيل

فإن نسيم الجو يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي ونعلم أنا بالنهار نقيل

وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول

إلي أن يعود الدهر سلما وتنقضي ترات بغاها عندنا وذحول[3] وذحول[3]

وتتضح هذه الفكرة أيضا في قول جميل :

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا ، وبأن لا أستطيع وبالمني وبالأمل المرجو قد خاب آمله

---

[1] ديوان مجنون ليلي/ تحقيق وشرح: جلال الدين الحلبي/ صـ٤٤، ٤٥/ ط البابي الحلبي سنة ١٩٣٩م، وانظر ديوان مجنون ليلي/ جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج/ ص١٨٧/ ط دار مصر للطباعة ١٩٧٩م

[2] ديوان كثير عزة / شرح : عدنان زكي درويش / صـ ١٥٩ / ط ١ دار صادر بيروت سنة ١٩٩٤ .

[3] قيس ولبني : شعر ودراسة ، صـ ١٤٠ .

وبالنظرة العجلى بالحول تنقضي أواخـــره لا نلتــقي وأوائله[1]

وفي قوله أيضا:

ألا ليت أيـــام الصفـــاء جديد ودهـــــرا تولي يابثين يعود

فنغني كما كنا نكون وأنتـــــم صديق وإذا ما تبذلين زهيــد[2]

ومن تلك الأمنيات – نتيجة البعد والحرمان – أن لو ظل الحبيبان صغيرين لم يكبرا بعد ليلتقيا دائما ، وهذا ما يظهر في قول مجنون ليلي:

تعلقت ليلي وهي غر صغيـــرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعي البهم ياليت أننـــا إلي اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم[3]

وفي تضاعيف هذا الغزل يبث الشاعر ولهه الذي هد كيانه وزلزل أركانه ، هذا الوله الذي يصل به إلى حد المرض والضنى والنحول والذبول أو يصل إلي حد يجعلنا نشك في إيمانه ، ولعروة وابن الملوح أبيات في هذا المعني ، يقول عروة :

تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبـــال الراسيــات يــدان

كــأن قطاة علقــت بجنــاحــها علي كبــدي من شــدة الخفقــان

جعلت لعراف اليمــامة حكمـــه وعراف نجــد إن همــا شفيــاني

وما شفيــا الداء الــذي بــي كله ولا ذخــرا نصــحا ولا ألوانــي

فقــالا : شفــاك الله والله مالنــا بما ضمنت منــك الضلوع يــدان

فويلي علي عفــراء ويلا كأنـــه علي الصدر والأحشاء حد سنان[4]

ويقول مجنون ليلى :

---

(١) ديوان جميل / د. حسين نصار / صـ ١٦٩ .
(٢) ديوان جميل / د. حسين نصار / صـ ٦١ .
(٣) ديوان مجنون ليلي / صـ ١٨٦، وانظر ديوان مجنون ليلي / شرح مجيد طراد / صـ ١٨٤ .
(٤) الأغاني / جـ ٢٠ / صـ ١٥٥ .

تذكرت ليلي والسنين الخواليـــا وأيام لا نخشى علي اللهو ناهيا

أعــد الليــالي ليــلة بعــد ليلــة وقد عشت دهــرا لا أعد الليـاليا

وأنت التي إن شئت نغصت عيشتي وإن شئت بــعد الله أنعمت باليا

أرانـــي إذا صليت يممت نحوهــا بوجهي وإن كان المصلي ورائيا

وما بـــي إشراك ولكن حبــهــا كعود الشجي أعيا الطبيب المداويا

أصلي فما أدري إذا مــا ذكــرتها أثنتين صليت الضحـــي أم ثمانيا

إذا الحب أضناني دعوا لي طبيبهم فيما عجبا هــذا الطبيب المداويا

وقالــوا بــه داء قد أعيــا دواؤه وقد علمت نفسى مكان شفائيــا[1] شفائيــا[1]

وأما قيس لبنى فإنه يقول :

رمتني لبيني في الفؤاد بسهمها وسهم لبيني للفـــؤاد صبود

وقائــله قــد مــات أو هو ميت وللنفس مني أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايــا حشاشة علي رمق والعائــدات تعود[2]

والحديث عن الظنون والأوهام والهواجس والوساوس والواشين لا تخلو من هذا النوع من الغزل وذلك أمر بدهي فالمحب دائما يحدوه الأمل والرجاء ويحيط به اليأس والحزن والخوف ، ويلازمه الواشون الحاقدون وفي ذلك يقول قيس لبنى :

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهــوى بأنعم حالي غبطة وســرور

فما برح الواشون حتى بدت لهــم بطون الهوى مقلوبة لظهور

---

(١) ديوان مجنون ليلي / صـ ٢٣٠ – ٢٣٢ / تحقيق عبد الستار أحمد فراج .وتروى بعض هــذه الأبيــات براويات أخري كثيرة وانظر علي سبيل المثال :
- ديوان مجنون ليلي / جميع وترتيب : أبي بكر الوالبي / صـ ٨٩ وما بعدها .
- ديوان مجنون ليلي/ تقديم وشرح مجيد طراد/ ص٢٣٧- ٢٤٢/ ط عالم الكتب/ بيروت ط١ ١٩٩٦م.

(٢) قيس ولبني / صـ ٨٠ .

لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا ولكنما الدنيا متـــاع غرور[1]
غرور[1]

ويقول كثير عزة :

وخبرها الواشون أني صرمتـــها وحملها غيظا علي المحمـــل[2]

ويقول جميل بثينة :

نصـــــد إذا ما الناس أكثـــــروا علينا وتجري بالصفاء والرسائل

فإن غفل الواشون عدنا لو صلنا وعاد التصافي بيننـــا والتراسل[3]

وفي هذا الغزل يظهر لنا محور آخر من محاوره وهو الحديث عن العفة والطهر إذا لا سلطان فيه لشهوات الحس ونوازع الجسد ونزوات الجنس .

إن عطر النقاء والعفاف يفوح من هذا الغزل وإن أثير الفضيلة والصفاء ليضوع من خلاله رغم ما يحدث بين العاشقين من خلوات وسمر ، وهذا قيس بن ذريح يصور ذلك قائلا :

تتوق إليك النفـــس ثـــم أردها حيـــاء ومثلي بالحياء حقيـــق

أذود سوام النفـــس عنك ومـــاله علي أحـــد إلا عليك طريـــق[4]

ويقول جميل بثنية :

لا والذي تسجـــد الجبـــاه لـــــه مالي بما دون ثوبـــــها خبـــر

ولا بفيـــــها ولاهممت بـــــه ما كـــان إلا الحديث والنظـــر[5]

ويقول :

وكان التفـــرق عنـــد الصبـــــاح عـــــن مثـــل رائـــحة العنبـــر

---

[1] قيس ولبني ، صـــ ٩٧ .
[2] ديوان كثير عزة ، صـــ ٢٢٤ .
[3] ديوان جميل / صـــ ١٥٩ .
[4] قيس ولبني / صـــ ١٢٨ .
[5] شرح ديوان جميل ، صـــ٣٤/ وشرح ديوان جميل / إبراهيم جزيتي ، صـــ ٥٤ . وفي : ديوان جميـــل / تحقيق د. حسين نصار . ..... مالي دون ثوبها خبر

خليلان لـم يقـربا ريبـة ولم يستخفـا إلي منكـر[1]

ويجب أن نسجل هنا عدة ملاحظات ونحن بصدد الحديث عن هذا الغزل العفيف أهمها ما يأتي :

١- التشابه بين قصص هؤلاء العشاق العذريين فلقد عاشوا في بيئات متشابهة وعاشوا حياة متشابهة تحكمها ظروف متشابهة وتقاليد متشابهة

٢- لم يكن هذا النوع من الغزل من خلق العصر الأموي بل وجد منذ العصر الجاهلي كما ذكرنا ذلك من قبل – ولكن الحياة الأموية هي التي هيأت له وكانت سببا في ابتعاثه .

٣- دخل بعض الأساطير هذه القصص ولكن لم تكن أسطورية صرفة ولم تكن قصصا خيالية خالصة من صنيع القصاص ونسج الرواة وإن كنا نشك في صحة كل ما وصل إلينا من أبيات غزلية وفي نسبتها إلى قائليها ، لأن قصص هؤلاء العشاق كانت في فترة من الفترات تلبية لحاجات السمر والمتعة وطلبا للإغراب والإعجاب واستثارة لشوق السامعين حتى لقد" غدت أخبارها لونا شعبيا عاما ولعل شعبيتها هي التي أكثرت من القصص حولها " (٢)

٤- لم يكن هذا الغزل مقصورا علي بني عذرة فهو نبتة صحراوية أصيلة رعتها البادية وسقتها الصحراء وهيأت له الأسباب بما فيها من" سكون وصمت في لياليها المقمرة الشاحبة (٣) وأما بنو عذرة فقد عرفوا به لأن حياتهم لم تكن قاسية " ولا كان فيها هذا الجدب المهلك وإنما كان فيها خصب ونماء هيآ لشئ من الفراغ كما هيآ لشئ من الاستقرار ، فليس فيها منازعات علي المراعي (٤) وكأنما

---

(١) ديوان جميل / د حسين نصار ، صـ ١٠٦.
(٢) العصر الإسلامي / د. شوقي ضيف / صـ ٣٦١ / ط –دار المعارف سنة ١٩٧٨
(٣) الحب العذري عند العرب / د. شوقي شيف / ص٢٠ـ ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٥.
(٤) الحب العذري عند العرب ، صـ١٩

قد فرغوا " للتعبير عن آلام النفس إزاء هذا الحب ، وكأنهم فرغوا لأنفسهم أو هيأت لهم حياتهم أن يفرغوا لأنفسهم فأخذوا يغنونها هذا الضرب من الشعر الوجداني(١) بالإضافة إلى ما عرفوا به من رقة المشاعر ودقة الأحاسيس .

٥- طبع هذا الغزل بطوابع إسلامية ، فلقد فرض الإسلام علي الناس في بيئة البادية أن يغضوا أبصارهم ولا يأتوا بفاحشة ولا ينتهكون المحرمات " (٢) ولذلك نجد في هذا النوع من الغزل الطهر والبراءة والتسامي كما نجد فيه الحزن الصادر عن نفس ملتاعة تخشى الله وتخافه ، ويرى البعض أن الإسلام كان من أهم الأسباب التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة فلقد "طهر النفوس وبرأها من كل إثم(٣) وكان " له أثر بعيد في سيطرة هذا الجيل علي غرائزه واستمساكه قدر الطاقة بالعفة والتقوى (٤).

٦- من أهم أسباب ظهور هذا اللون من الغزل التقاليد الاجتماعية وخاصة وضع المرأة الاجتماعي ونظرة الرجل إليها فقد ظلت المرأة في هذا المجتمع خاضعة لنفس التقاليد الصارمة التي كانت مفروضة عليها منذ العصر الجاهلي ، تقاليد المنعة والحجاب والرقابة والحراسة. (٥)

٧- مما ساعد علي ظهور هذا الفن في بيئة البادية أن شبابها لم يكن أمامهم " إلا فتيات القبائل أو بنات العم المحجبات الممنعات بكل ما يتمتعن به من حصانة وكل ما يحيط بهن من قداسة . (٦)

---

(١) الحب العذري عند العرب ، صـ١٩

(٢) الحب العذري عند العرب ، صـ٢٠ .

(٣) العصر الإسلامي / د. شوقي ضيف / صـ ٣٥٩ .

(٤) في الشعر الاسلامي والأموي/ د. عبد القادر القط، صـ ٧٩ ، وهذا السبب هو ما يسميه بالتفسير الديني .

(٥) في الشعر الأموى/ د. يوسف خليف / صـ٦٢.

(٦) في الشعر الأموي ، صـ ٦٢ .

٨- مما أدى إلى ظهور هذا الفن في هذه البيئة أنها عاشت حياة اقتصادية فقيرة وظلت تعاني من شظف العيش وضنك الحياة ، كما أن موقف السياسة الأموية، منها كان مغايرا لموقفها من بيئة الحجاز فلم تكن الدولة الأموية تخشى علي نفسها من هذه البيئة ومن ثم فلم تظهر الطبقات المترفة بل "ظل الحرمان هو السمة الغالبة علي المجتمع البدوي وظل الكبت هو العنصر الكامن في أعماقه" [١].

٩- كان هذا النوع من الغزل أشبه بمتنفس يخفف عن شباب البادية قساوة الأيام والحرمان وقد وجدوا فيه نوعا من التعويض عما حرموا من وسائل اللهو دون المساس بتعاليم الإسلام ، وهذا ما يمكن أن نسميه بالتفسير النفسي لهذه الظاهرة .

وعلي الجانب الآخر من هذا الغزل وقف الغزل الحسي الصريح الذي يفتن فيه الشاعر بوصف المرأة من حيث إنها أنثى تشبع الجوع الجنسي وتحقق له المتعة واللهو واللذة وترضي الحس ، ومن حيث إنها تشبع له غرائزه ونزواته ، ومن حيث إنها فتنة طاغية تبهر الرجل وتفتنه وتأسره بما تملك من جمال ودلال .

إن المرأة في هذا النوع من الغزل وسيلة لا غاية والشاعر هنا لا يقف عند واحدة بعينها بل هو كالفراشة الحائمة الهائمة التي تنتقل من فنن إلى فنن ومن زهرة إلى زهرة فريثما يمتص رحيق زهرة فتذبل إذا به يبحث عن زهرة أخرى. إن الشاعر هنا يدعي الحب وهو كاذب لعوب ولوب، والمرأة عنده غراء فرعاء مصقول عوارضها ذات خد أسيل وردف ثقيل وشعر طويل وعيون حوراء ، وأهداب متكسرة وطفاء .والحق أن الشعراء العرب قد وضعوا في وصف المرأة مقاييس جمالية يبغونها ويطلبون تحقيقها ولذا نرى علي سبيل المثال جريرا يتحدث عن العيون الحوراء فيقول :

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

---

[١] في الشعر الأموي ، صـ ٦٣ . وقد سمي د. القط هذا الأمر بالتفسير السياسي انظر في الشعر الاسلامي والأموي / صـ ٦٥ .

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا[1]
إنسانا[1]

وخير من يضرب لنا المثل في عدم الوقوف عند واحدة بعينها عمر بن أبي ربيعة الذى يقول في ثلاث أخوات شغلن به :

قالت الكبـرى : أتعرفن الفتـى قالت الوسطى: نعم هذا عمر

قالت الصغـرى وقـد تيمتـها قد عرفناه وهل يخفي القمر[2]
القمر[2]

وأخبار ابن أبي ربيعة كثيرة عن صواحبه اللاتي بلغن أكثر من سبع وثلاثين صاحبة سمى كل وحداة باسمها عدا اللواتي لم يسمهن ومن تلك الصواحب (هند ، ونعم وزينب والثريا والرباب وغيرهن) وقد استطاع عمر بن أبي ربيعة أن يقلب آية الغزل في الشعر العربي فبعد أن كان الشاعر هو المحب اللاهث وراء محبوبته جعل ابن أبي ربيعة النساء هن اللواتي يلهثن وراءه ويطلبنه وهذا ما يتضح في قوله :

وكن إذا ابصرنني أو سمعنني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر[3]

والحق أن ليس في هذا النوع من الغزل عفة أو طهارة إنما هي المتع الحسية والغرائز الجنسية ، فالوجوه سافرة والنقاب مكشوف بلا أدنى حياء أو خجل وفي ذلك يقول العرجي :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت علي الخدين بردا مهلهلا

---

[1] شرح ديوان جرير / مهدي محمد ناصر الدين / صـ ٤٥٢ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٩٢ ١٩٩٢ وفي رواية ...."وهن أضعف خلق الله أركانا"

[2] ديوان عمر بن أبي ربيعة / صـ ٩٠ / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨ .

[3] ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـ ١٠٩ .

من اللاء لم يحججن يبغين حسبـــة ولكن ليقتلن البرئ المغفـــلا[1].

والمرأة - لدى الشاعر – هنا عبارة عن عيون وخدود وقدود وجيد ووجنات وبنان رخص مخضب وجلد ناعم بض أملس فالشاعر مولع بالجمال الجسدي متتبع للحسن الأنثوي كلما أبصره .

كما يقول ابن أبي ربيعة :

إني امرؤ مولع بالحســن أتبعــه لاحظّ لي فيه إلا لذة النظر[2]

ويقول واصفا هندا مرة :

غـــادة يفتـــر عــن أشنبهــا حين تجلوه أقاح أو بـــرد

ولها عينـــان فـــي طرفيهما حور وفي الجيـــد غيـــد[3]

ويصفها الأحوص جملة فيقول :

مهفهفة الأعلى وأسفل خلــقها جرى لحمه من دون أن يتخددا

كأن ذكي المسك منها وقد بدت وريح الخزامى عرفه ينفح الندا[4]

فهي في نظره في غاية من الرشاقة والأناقة ، ممشوقة القد والقوام، مكتملة الحسن، وكأن قد تحققت فيها كل مقاييس الجمال الأنثوي.

ومهما يكن من أمر فإن الشاعر في هذا النوع من الغزل يحس أنه اجترف أثاما واقترف ذنوبا وذلك كما يظهر في قول ابن أبي ربيعة :

يقصد الناس للطواف احتسابا وذنوبي مجموعة في الطواف[5]

---

(١) الأغاني / جـ ١ ، صـ ١٥٥ ، وانظر ديوان العرجي / جمع وتحقيق : د. سجيع جميل الجبيلي / صـ صـ ٢٨٥، ٢٨٦ / ط أولى / دار صادر / بيروت / ١٩٩٨ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـ ١٠٩ ،

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـ ٥٤ .

(٤) ديوان الأحوص/ تحقيق وشرح د. سعدي ضناوي/ صـ٥٤/ ط أولى/ دار صادر، بيروت/ ١٩٩٨ .

الطواف[1]

ويجب أن نسجل هنا أن هذا الضرب من الغزل قد نما نموا واسعا في المدينة ومكة وعملت فيه ظروف عديدة منها :

١- تحضر المرأة في هذه البيئة تحضرا عظيما فلقد بنيت لها القصور وملئت بالجواري من الأجنبيات اللواتي حملن معهن عادات وأخلاقيات مغايرة للعادات والأخلاقيات العربية .

٢- الحرية التي أخذت المرأة منها – في هذه البيئة - بقسط وافر فلقد اختلطت بالشباب مع المحافظة علي كرامتها وشعورها بمركزها الاجتماعي الجديد.

٣- كثرة الأموال التي صبت في حجور أهل مكة والمدينة أدت إلى وجود طبقة من " الشباب كانوا فارغين من عمل فليس هناك ما يشغلهم "[2] ومن ثم أخذوا يبحثون عن وسيلة من وسائل التسلية واللهو ليقطعوا بها وقت فراغهم فكان شعر الغزل إحدى هذه الوسائل.

٤- مجالس اللهو والطرب والغناء التي وجدت نتيجة الفراغ الذي عاشته طبقة كبيرة من الشباب ، وفي هذه المجالس راح الشعراء يتغزلون ويختلطون بالمغنيات ويصفون المفاتن الحسية ويقدمون مادة شعرية جاهزة للغناء فلقد تطلبت هذه المجالس مددا دائما من شعر الحب " وكان علي الشعراء أن يقدموا هذه المادة الفنية كلما طلب إليهم ذلك"[3].

٥- شعور المرأة العربية بشخصيتها وأنها فتاة الفاتحين العظام أدى بها إلى الأخذ بقسط كبير من الحرية فراحت تختلط بالشباب.

---

(١) عيون الأخبار / ابن قتيبة / جـ ٤ ، صـ ١٠٧ .

(٢) الشعر والغناء في المدينة مكة لعصرين أمية/ د. شوقي ضيف، صـ١٧٥/ ط دار المعارف ١٩٧٩م .

(٣) في الشعر الأموي " دراسة في البيئات " د. يوسف خليف/ صـ١٤٩/ ط غريب١٩٩١، وانظر تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي د. يوسف خليف ، صـ ٨٥ ، ط دار الثقافة سنة ١٩٨٨ .

٦- أذواق السامعين المتحضرين ، تلك الأذواق التي احتاجت إلى ما يرضيها من غناء لاه عابث تردده وتحس أنها تستمتع به .

٧- انتقال الدولة من عواصم الحجاز إلى عواصم الشام أدى إلى تفرغ المترفين لحياة من الفراغ لا رقابة عليها بل أدى إلى التشجيع علي حياة المجون والبطالة لأن أصحاب الدولة كانوا يخشون من أبناء هذه المنطقة لو انصرفوا إلى حياة الجد والطموح إذ لا أمان للدولة في جدهم وطموحهم .

إنها الحياة المترفة والأموال المتدفقة والجواري والرقيق وما حملوا معهم من عادات مغايرة وإنها الحرية والفراغ والتعطل وخوف الدولة من أبناء هذه المنطقة والتحضر الذي أصاب هذه البيئة وموجة الغناء والعبث .

هي أهم العوامل التي أدت إلى انتشار هذا اللون من الشعر في بيئة الحجاز .